سياسية ، ولا ثورة جنسية ، ولا ثورة اخلاقية .. الخ من الاحاديات التي ما زالت تصطنع للشعر « اغراضا » مجزأة ومنفصلة شأنها شأن اغراض الشعر العباسي او الاموي . بل هي مجموع هذه الثورات مجتمعة في « رؤيا » جديدة ابداعية للفتك بالحاضر ولتفجيره نحو المستقبل .

ولذلك لم « يعطف » حزيران ادونيس ، ولم يقلبه رأسا على عقب . ولكنه « عمق » رؤياه تلك وزادها حساسية ، وعنفا . ان الشراسة الادونيسية التي فجرها حزيران اصبحت قاسما مشتركا بين « الشعر في الثورة » و« الثورة في الشعر » . ولعل ابرز مظاهر الجناحين لطائر الثورة تلك هي الدعوة الى الهدم من أجل البناء ، والتبشير « بساعة الهتك العظيم الآتية وخلخلة العقول » الى جانب الهاجس اللغوي الجديد المتوتر الغاضب والبناء الدرامي المتفاعل الذي يشبه الى حد بعيد الطوفان في أعتى مراسيمه التطهيرية .

لقد كتب أدونيس بعد حزيران ، وبعد مراحله الشعرية المتمثلة في مجاميعه الهامة « اغاني مهيار الدمشقي » و « كتاب التحولات والهجرة » و« المسرح والمرايا » ، اعظم أعماله الشعرية الا وهي قصيدته « هذا هو اسمي » وقصيدة « مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف »(٢٠) التي اعتبرها جزءا ملحقا . انها تعرية جبارة لم يألفها الشعر العربي ، لا لسطح الواقع العربي وكشف الغطاء عنه فحسب ، بل لمجرى السوس السري الذي ينخر الاعماق . ان التبشير « بساعة الهتك » او الاصغاء الفاجع « للنواح السري في كبد العالم » و« الموت العربي » ، او الاعتراف داخل « البلاد التي رفعت فخذها راية » بأنها « عكازة السلاطين وسجادة الانبياء » ، أقول أن هذه المكاشفة لا تشكل وحدها القيمة الاساسية للثورة ، اذا هي تجردت من صيغتها الابداعية الجديدة . وأريد بها « الشكل » الشعري . هذا « الشكل » الذي فهم طوال مرحلتنا الشعرية الحديثة على انه القشرة الخارجية والثانوية . ان من مهمات « الثورة » لدى أدونيس ، هو هذا العطاء النامي والمتجدد « للشكل » لا بمعناه المجرد ، المنفصل عن « المضمون » ، بل بمعناه المعطى بدءا من لحظة الابداع ذاتها .

ثمة ملاحظة هامة تجب الاشارة اليها . ان الحدث الكبير مهما كانت حصيلته: الانتصار او الهزيمة يظل حدثا كبيرا ، واشير بذلك الى الصعيد الابداعي ، الفكري او الادبي ، وما يشكلانه كحصيلة لذلك الحدث . وما يجب ان نؤكد عليه هو ان تلك الحصيلة الابداعية لا يمكن ان تتواجد في فترة ردود الافعال اللاحقة ، والاستجابة الزمنية الآنية. انما هي تتسرب في وعي الامة الداخلي ، نسغا يكمن لفترة قد تتجاوز السنوات العديدة. لينبعث كما تنبعث الروح ، بعد مرحلة « الآثار المباشرة » ، محملا — كطاقة ابداعية — بروح ذلك الحدث ومعانيه وآثاره الحقيقية .

ان السنوات العشرين التي تلت الثورة الفرنسية الجبارة ، كانت محملة باعباء ردود الافعال التي تحولت الى كمود وفراغ ابداعي مطلقين . في حين ظهرت بعد هذه الفترة الطويلة الطاقة الابداعية الحقيقية التي كانت الثورة الفرنسية بذرتها الاولى وجذرها الاساسي . ان قيمة حق الانسان في الحياة ، والحرية ، وقيمة النزعة الفردية ، والديمقراطية البرجوازية ، التي تمتعت بها حركة القرن الثامن عشر الفرنسي كانت ذاتها شعارات الثورة الفرنسية . ولم تخصب العبقرية الفرنسية الا في هذه الفترة عينها ، كنتائج بعيدة المدى ، على يد بلزاك ، واستندال ، وهيجو ، ولامارتين ، والفرد دي موسيه .. الخ .

بهذا المعنى يجب ان نتعرف على مهمة حزيران ، الابداعية ، لا في سنوات الاضطراب وردود الفعل التي تلته ، بل في فترة قادمة لا نملك القدرة على تحديدها . اننا اذ نتحدث